ترجمات : مراجعة كتاب

مراجعة كتاب : لورينزو فيراچـــــيني*: الكولونيالية: تاريخ عالمي

المراجع: جامين أندرياس هوبنر**

ترجمة: مصباح كمال***

لورينزو فيراچـــيني. الكولونيالية: تاريخ عالمي. لندن: روتليدج، 2023. 217 ص. 38 دولارًا (غلاف ورقي)، ISBN: 978-0367506384.
Lorenzo Veracini. *Colonialism: A Global History.* London: Routledge, 2023. 217 pp. $38 (paperback), ISBN: 978-0367506384.

Reviewed for EH.Net by Jamin Andreas Hübner, LCC International University and University of the People.

كـان علـى العقـود القليلـة الماضـية مـن التـاريخ الاقتصـادي أن تتصـارع مـع فتـرة خمسـمائة عـام مـن "الكولونياليـة" المظلمـة والمرعبـة فـي كثيـر مـن الأحيـان. يشـتهر لـورينزو فيراچينـي بخبرتـه فـي هـذا الموضـوع، حيـث قـام بتـأليف كتـاب **الكولونياليـة الاسـتيطانية: نظـرة نظريـة عامـة** (2010) وشـارك فـي تحريـر **دليـل روتليـدج للكولونياليـة الاسـتيطانية** (2017). كتابـه الجديـد، **الكولونياليـة: تـاريخ عـالمي**، هـو عبـارة عـن توليفـة مـوجزة مـن الأبحـاث التـي تسـتهدف جمهـورًا أكثـر شـعبية فـي شـكل كتـاب مدرسـي. كمـا يـولي الكتـاب اهتمامًا خاصًا لعلاقة الكولونيالية بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والإمبريالية.

تتنـاول مقدمـة الكتـاب أنـواع وأغـراض الكولونياليـة (الكولونيوليـات) colonialism(s). ويشـير فيهـا إلـى مركزيـة العنـف. "إن العنـف هـو أسـاس الكولونياليـة ويحـدد عمليتـه المسـتمرة: ويمكـن لهـا أن تكـون قاتلـة وبـلا معنـى، ويمكـن الاسـتغناء عنهـا بعقلانيـة، ويمكـن التهديـد بهـا أو الوعـد بهـا، ويمكـن أن تكـون نموذجيًـا." (ص 9). فهـو يميـز بـين الكولونياليـة والإمبرياليـة. "تتـراكم الأربـاح بشـكل مختلـف فـي ظـل الإمبراطوريـة والكولونياليـة... كقاعـدة عامـة، تُقـدم المسـتعمرة colony فـي المقـام الأول صـفقات مربحـة؛ فالمقاطعـة الخاضـعة للإمبراطوريـة تقـدم الجزيـة tribute فـي المقـام الأول."

ترجمات : مراجعة كتاب

(ص 3). الفرق الآخر بين الإمبراطورية والكولونيالية هو "المياه الزرقاء"[1] blue water، أي الفصل بين المواضع (ص 7). وتهدف بعض الأنظمة الكولونيالية ببساطة إلى إعادة إنتاج الميتروبولات metropoles. من ناحية أخرى، فإن الكولونيالية الاستيطانية هي "نمط من الهيمنة الكولونيالية يتميز بإنشاء مستعمرات استيطانية من قبل السكان القادمين من العاصمة أو من مجموعة متنوعة من العواصم، [والتي] تهدف إلى ... إنهاء الحكم الذاتي السياسي للسكان الأصليين إن لم يكن السكان الأصليين أنفسهم." (ص2). لماذا تنشأ الكولونيالية؟ "إن الطلب الذي لا ينضب على السلع يجعلها مربحة" (ص 11). كيف؟ "الزوارق الحربية" (ص 12) – أي احتكارات حاسمة لطرق التجارة المحيطية (في المقام الأول). في التحليل الأخير، فإن الكولونيالية "هي علاقة مبنية على التهجير displacement؛ يمكن لأي شخص أن يفعل ذلك، على الرغم من أن الأوروبيين الغربيين فعلوا ذلك أكثر من غيرهم وفي كثير من الأحيان." (ص 9).

يركز سرد فيراچيني على سبع "موجات". تتضمن الموجة الأولى والثانية مشاريع أوروبا في الفترة من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر، وفي نهاية المطاف تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي (الفصل الثاني) والإمبراطوريات الكولونيالية التجارية (الفصل الثالث). وفي حين أن الموجة الأولى "اعتمدت على شبكات الخضوع القائمة على الغارات والنهب والسعي إلى الريع"، فإن الموجة الثانية التي اجتاحت هذه الموجة "نظمت إنتاج وتسويق السلع الكولونيالية في المزارع الاستوائية." (ص 33). ما دفع كلا هاتين الموجتين هو "النهب والتوابل من الشرق، والنهب والفضة، ثم السكر وغيره من السلع الكولونيالية الأساسية من الغرب. وبطبيعة الحال، خلال الموجة الثانية، كان البشر المستعبَدون هم الذين يحركون عجلة الكولونيالية من خلال زراعة ومعالجة قصب السكر الذي يدعمه." (ص 23). في الواقع، إلى جانب الفيروسات والتكنولوجيا، فإن "الأرباح كانت تقود الكولونيالية أكثر من أي شيء آخر: كانت التجارة الكولونيالية مربحة بشكل هائل." (ص 25). حتى المبشرون "كانوا في كثير من الأحيان يشتغلون كتجار." (ص 22). تطلبت هذه التجارة المربحة العنف، الذي "دعم الكولونيالية في جميع عملياتها ... إن العبودية هي العنف – نوع من "الموت الاجتماعي" – وتم التضحية بالملايين على مذبح التراكم الرأسمالي والسعي وراء التجارة الكولونيالية." (ص 25).

[1] كل ما هو مصمم للعمل في أعالي البحار وكل ما يمكن إرساله من قطع بحرية إلى جميع أنحاء العالم، بعيدًا عن قاعدتها الرئيسية. (المترجم)

ترجمات : مراجعة كتاب

نقرأ أن "الموجة الثالثة من الاستعمار تستهدف البراري المعتدلة والقارات بأكملها. وهي لا تسعى في المقام الأول إلى الريع أو الجزية أو العمل rent, tribute, or labour. إنها تسعى في المقام الأول إلى الأرض" وتسعى إلى تهجير السكان الأصليين "من أوطانهم." (ص 89). إنها مدفوعة بـ "ثورة النقل." (ص 74) التي تُمكّن "الرواد" من غزو "الحدود." وقد كان هذا التطور يرجع إلى حد كبير إلى تلبية الطلب الأوروبي. خلال هذه الموجة، تطور المنطق الاقتصادي الميركنتالي إلى أفكار للتجارة الحرة: "لماذا تستعمرُ (وتفرض ضرائب مباشرة على السكان الخاضعين) بينما يمكنك الاستفادة من شروط التجارة غير المتكافئة (أي، من حيث أنها لن تستخدم سوى الشروط التي تصف العلاقة الكولونيالية بشكل مناسب)" متجاوزة الخضوع السياسي، عندما يمكنك الاستفادة من العلاقات غير المتكافئة بنيويًا)؟ (ص65). كما انطلقت بعض حركات "إنهاء الكولونيالية" الأولى خلال هذه الفترة. لكن هذه الموجة "مستمرة بالفعل،" كما هو الحال في قبرص أو البرازيل أو التبت المعاصرة.

تركز الموجة الرابعة على قوة بريطانيا غير المتنازع عليها، وحقيقة أن "الكولونيالية أصبحت الآن ظاهرة عالمية حقًا" (ص 98)، [مقترنة] بتحول أعمق بكثير وهيمنة أعمق على المجتمع.

"كان هناك استغلال، وكان هناك عنف وسيطرة، بالطبع، وكان ذلك خبيثًا، لكن طرق الاستغلال كانت مكيفة حسب المكان place-specific وتقليدية إلى حد كبير. والآن أصبحت الكولونيالية تمارس أشكالاً جديدة من السيطرة الإقليمية، وأشكالاً جديدة من السيطرة العنصرية؛ لا بل إنها كانت تعمل على إعادة تشكيل ترتيبات ملكية السكان الأصليين القائمة. (ص99).

[وفي الواقع] تمت إعادة هيكلة الحياة البشرية والمؤسسات والمجتمعات لتناسب السوق العالمية الجديدة.

تداخلت الموجة الخامسة مع الموجة السابقة وشملت "الدولة الكولونيالية" والإمبريالية: فقد نفدت الأراضي التي يمكن احتلالها، لذلك حان الوقت لخوض القوى الكولونيالية حربًا مع بعضها البعض من أجل الموارد الاقتصادية وطرق التجارة — أزمة أغادير، حرب البوير، والحرب الأمريكية الإسبانية، والحرب الإيطالية التركية، والحرب الكولونيالية الأكبر، الحرب العالمية الأولى. "إن تحصيل الديون العسكرية، والابتزاز تحت تهديد السلاح، هو علامة على العلاقات الكولونيالية خلال القرن

ترجمات : مراجعة كتاب

التاسع عشر وما بعده، وهي سمة نموذجية لكل من الموجتين الاستعماريتين الرابعة والخامسة." (ص 117).

لقد أدخلت الموجة السادسة أيضًا تجارب "الكولونيالية الجديدة." ويستشهد فيراچيني بانتدابات عصبة الأمم، والاستعمار من قبل الفاشيين الإيطاليين، والإمبريالية اليابانية، وما يسميه "الاستيطان الصهيوني لفلسطين."[2]

ويكرس فيراچيني الفصل التالي فقط للحديث عن الكولونيالية والإمبريالية اليابانية، يليه فصل "الموجة السابعة." ويؤكد فيراچيني أنه على الرغم من أن فترة "إنهاء الكولونيالية" في الستينيات والثمانينيات من القرن الماضي مزقت العديد من علاقات القوة العالمية (فشلت جميع الإمبراطوريات الكولونيالية في تحقيق أهدافها عادة في غضون 150 عامًا)، إلا أننا لا نعيش في عالم ما بعد الكولونيالية. في الواقع، على العكس تمامًا، عصر إعادة الكولونيالية، الذي يتميز بمشاكل مالية مزمنة وأشكال جديدة من الهيمنة والتجارة الكولونيالية (على سبيل المثل، المناطق الاقتصادية

[2] هنا يبدو أن المراجع يثير التساؤل عن صحة استخدام مصطلح الاستيطان الصهيوني لفلسطين. لعله من المفيد مراجعة كتاب Maxime Rodinson, *Israel: A Colonial-Settler State?* (New York: Monad Press, 1973) (المترجم)

ويكتب أحد الباحثين في أعقاب ما يجري في غزة منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2021:

هناك إصرار شديد في الخطاب الأمريكي والإسرائيلي السائد على إنكار تاريخ إسرائيل الكولونيالي وهياكله وقوته. لم يكن هذا هو الحال دائمًا. ففي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، في ذروة الإمبراطوريات الكولونيالية في أوروبا، أعلن العديد من الصهاينة صراحة عن طموحاتهم الكولونيالية في "أرض إسرائيل"، وأنشأوا مؤسسات مثل جمعية الاستيطان اليهودي واعتمدوا على التقنيات الكولونيالية من الجزائر الفرنسية (كما هو الحال مع مصانع النبيذ الساحلية للبارون روتشيلد) ومن الاستعمار البروسي لغرب بولندا (كما هو الحال مع حركة الكيبوتس اليهودية حصرًا [إقصاء العمالة الفلسطينية، وهو ما فعلته الهستدروت أيضًا]). في ذلك الوقت، أن تكون كولونياليًا، هو أن تصر على حاجتك إلى دولة قومية حصرية لشعبك، وبمثابة تأكيد على الحق في أن يكون عضوًا في مجتمع الأمم الأوروبي، وأن يكون جزءًا من "العالم المتحضر."

.....

لقد حل مصطلح "الإرهابي" محل كلمة "وحشي" في الخطاب الغربي. وكلاهما موجود لتعزيز الحس الأخلاقي لدى الكولونياليين. وفي حين أن الكولونيالي لديه "قواعد اشتباك" (قواعد لا تزال تؤدي بطريقة أو بأخرى إلى قتل أعداد كبيرة من المدنيين)، فإن "الإرهابي" و"الوحشي" ليس لديه مثل هذه المخاوف الأخلاقية بشأن من يستهدفون، فهم يسعون فقط إلى التسبب في أقصى قدر من الضرر. الموت والدمار بأقل الطرق التي يمكن التنبؤ بها.

Robert Hildebrandt, 'Decolonization is always a violent phenomenon. Would that it were otherwise,' https://mondoweiss.net/2023/10/decolonization-is-always-a-violent-phenomenon-would-that-it-were-otherwise/

(المترجم)

ترجمات : مراجعة كتاب

الخاصة؛ والوجود العسكري الأمريكي العالمي والسيطرة غير المباشرة على جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط وأفريقيا) وفي أماكن أخرى؛ خطوط أنابيب النفط المحمية في المحميات الهندية Indian reservations [في الولايات المتحدة الأمريكية]).

"يتم استخدام الدين لتأديب الدولة التي نشأت بعد خضوعها للكولونيالية واحتجازها إلى أجل غير مسمى ضمن علاقة غير متكافئة. إن الشروط غير المتكافئة للتجارة الدولية تؤدي إلى خلق الديون، كما أن اقتصادات ما بعد الكولونيالية التي تنتج كميات كبيرة من عدد محدود من السلع القابلة للتداول مُعرّضة بشدة لشروط التجارة غير المواتية والمتدهورة. وفي المقابل، فإن محاولات التطوير والتنويع يجب أن تعتمد على القروض التي يتم جمعها في الأسواق الدولية، مما يزيد من تعميق الخضوع. (ص: 189)

ويتناول الفصل الأخير "الموروثات" المختلفة للكولونيالية والكولونيالية الجديدة. ويقدم فيراچيني حلولاً عملية وبسيطة: التعويضات reparations ("الريع" أو الضريبة على المستوطنين)؛ استعادة أراضي السكان الأصليين المسروقة؛ إزالة التماثيل أو نقلها ("يجب أن تكون الأماكن ذات أهمية اجتماعية، مثل الميادين العامة والأماكن التعليمية، محظورة [خالية من آثار تمجيد الكولونيالية]. وربما يكون قاع القناة موقعًا أكثر ملاءمة [لهذه التماثيل كما حصل في مدينة برستول البريطانية]، ويمكن [من خلال ذلك] إيصال [رسالة] التعقيد من هناك"؛ ص 191). بعد كل شيء، عندما يتعلق الأمر بالمُستعمَر (الجنوب العالمي) مقابل المُستعمِر (أوروبا والولايات المتحدة في الغالب): "يظل الفقر المنهجي والأمراض المزمنة على الجانب الآخر." (ص 190)."

الكولونيالية: تاريخ عالمي هو كتاب علمي ومع ذلك يمكن قراءته بيسر، ونموذجه عن "الموجات" بسيط بما يكفي لفهمه ومتطور بما يكفي للتعامل مع تعقيدات التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. وتتسم مناقشات المؤلف بشأن العلاقة بالرأسمالية والكولونيالية بالدقة وبُعد النظر (ص 31-32، 60-66، 95، 121). وباعتباره كتابًا مدرسيًا مريحًا مكونًا من 200 صفحة — والذي سيصبح بالتأكيد (ونأمل ذلك!) الخيار الافتراضي لدراسة موضوع الكولونيالية — ينتهي كل فصل بنقاط مراجعة وأسئلة ومجموعة متنوعة من المؤشرات المفيدة للطلاب. بالنسبة للطبعات المستقبلية للكتاب، أوصي بضم خرائط أكثر فائدة (الخرائط المضمنة غير مفيدة ومبتذلة ولا تستحق تضمينها في الكتاب) — كتلك الخرائط الموجودة في كتاب *Societies, Networks, and Transitions* (Craig A. Lockard, Cengage 2021, 4th ed; راجع الخرائط IV.1، 15.1، 16.2، 17.2، 17.3، 19.4، 20.2، 21.1، 22.2) وفي كتاب

ترجمات : مراجعة كتاب

Empires and Colonies in the Modern World (Heather Streets-Salter and Trevor R. Getz, Oxford 2016)، والذي ربما يكون هذا الكتاب الأخير هو أقرب ما يعادل كتاب فيراچيني. كما أن إضافة فصل عن الكولونيالية العربية قبل الكولونيالية الأوروبية (ما بعد 1492) من شأنه أن يعزز قيمة الكتاب كمقدمة "عالمية" لموضوع الكولونيالية. على أي حال، فإن مؤرخي العالم والمهتمين بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي قد حصلوا على هبة حقيقية من ها الكتاب. ■

(*) لورينزو فيراچيني، مؤرخ وأستاذ في معهد البحوث الاجتماعية بجامعة سوينبورن للتكنولوجيا، ميلبورن، أستراليا. وهو رئيس تحرير مجلة الدراسات الكولونيالية الاستيطانية وباحث مهم في حقل تطوير دراسات الكولونيالية الاستيطانية. للمزيد من المعلومات راجع: Lorenzo Veracini - Wikipedia

(**) الدكتور جامين أندرياس هوبنر عضو هيئة التدريس في جامعة الشعب وجامعة LCC الدولية التي كانت تعرف سابقاً باسم Lithuania Christian College. وهو باحث في الدين والاقتصاد، وناشط وقائد تنظيمي، ويعمل حاليًا على تأليف كتاب عن الاقتصاد التعاوني. نشر موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين ترجمة لمراجعته لكتاب ديبين ما وريتشارد فون غلان، محرران، تاريخ كامبريدج الاقتصادي للصين: المجلد الثاني:
مراجعة-كتاب-ديبين-ما-وريتشارد-فون-غلان،-محرران-تاريخ-كامبريدج-الاقتصادي-للصين-المجلد-الأول.pdf (iraqieconomists.net)

Dr. Jamin Andreas Hübner is a faculty member at the University of the People and LCC International University. He is a scholar of religion and economics, as well as an activist, and organizational leader, and is currently writing a book on cooperative economics.

(***) مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين

يمكن قراءة النص الإنجليزي للمراجعة بالنقر على الرابط التالي: https://eh.net/?s=veracini

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.
http://iraqieconomists.net/ar/